

رحلة ابن جبير جدلية الأدب والمكان

أ.د كاظم موسى الطائي*

المقدمة: تعتبر الرحلات الجغرافية من القنوات المهمة لترسيخ الثقافة العربية إذا سهم الجغرافيون العرب في رحلاتهم مساهمة جادة في اغناء التراث العربي الاسلامي فضلاً عن تأثيراتها على الثقافة الانسانية.

وتمثل رحلة ابن جبير موضوعاً للبحث أمثوذجاً مهماً من الرحلات المتميزة إذا استغرقت مدة سنتين وثلاثة أشهر جاب فيها ابن جبير بلداناً كثيرة وسيركز بحثنا على عدد من المحاور الاساسية هي:

- ثقافة الرحالة واثرها في الرحلة

- اهداف ومضامين الرحلات العربية والاسلامية.

- أهمية رحلة ابن جبير من الناحيتين الأدبية والجغرافية ومكانتها في الأدب الجغرافي العربي.

يعتبر ابن جبير من افضل الرحالة العرب ممن كتبوا رحلاتهم بأسلوب أدبي حيث اعتبرها كراتشكوفسكي ذروة ما بلغه الرحلة في الأدب الجغرافي العربي من الناحية الفنية، فابن جبير لم يكن يبغى من رحلته ان يجعلها كتاباً جغرافياً بل كان يهدف إلى إظهار قيمتها الأدبية وصب ثقافته التي كان يتمتع بها من أدب وشعر وبلاغة مؤكداً جدل العلاقة بين الجوانب الأدبية والجغرافية حيث اكسبها صاحبها شهرة أدبية واسعة بين الأجيال التالية، كما حققت رحلته شهرة واسعة عالمياً حيث تم ترجمتها إلى عدد من اللغات العالمية وما تزال تشكل مدخلاً أدبياً رفيعاً يكشف لنا المترلة الأدبية والجغرافية التي يتمتع بها رحالتنا ابن جبير.

الرحالة ابن جبير: هو أبو الحسن محمد بن احمد الكنايني الاندلس⁽¹⁾، ولد ابن جبير في بيت عربي اندلسي عريق في مدينة بلنسية من مدن الاندلس عام 539هـ / 1145م.

*أستاذ في تاريخ المغرب الإسلامي ورئيس قسم الدراسات التاريخية- جامعة لاهاي الدولية- مكتب الموصل- العراق.

ويعتبر ابن جبير من أهم الرحالة العرب الذين جابوا البلاد العربية والاسلامية قام ابن جبير اثناء حياته بثلاث رحلات جغرافية مهمة هي:

الرحلة الأولى: من 19 شوال 578هـ/1183م إلى 10 محرم 581هـ/1185م، وقد استغرقت الرحلة سنتين وثلاثة اشهر.

الرحلة الثانية: من 585هـ/1189م إلى 578هـ/1191م، وتزامنت مع إعادة صلاح الدين الأيوبي فتح بيت المقدس.

الرحلة الثالثة: أثناء وفاة زوجته 614هـ/1217م حيث توفي ودفن في الاسكندرية⁽²⁾.

ثقافة الرحالة وأثرها في الرحلة: تكشف حياة ابن جبير عن اهتمامات مبكرة بعلوم الدين والحديث وعلوم اللغة والأدب فقد درس علوم اللغة والأدب على أيدي جمهرة كبيرة من العلماء⁽³⁾. ونتيجة لهذه الاهتمامات فقد تبوأ مركزاً مهماً بين كتاب بلاده مما دفع الكثير من الحكام إلى اختياره كاتباً لهم، وانعكس هذا الاهتمام بالجوانب العلمية والأدبية على رحلة ابن جبير في جانبين مهمين هما:

1. منهج الرحلة: إتصف رحلة ابن جبير بالدقة العلمية حيث لم يعتمد ابن جبير على الذاكرة كما فعل غيره من الرحالة العرب من امثال ابن بطوطة بل كان يسجل مشاهداته اليومية حسب وقتها باليوم والشهر والسنة وحتى الساعة لذا يمكن القول عنها بانها مذكرات يومية بل هي رحلة تاريخية ووثائق تاريخية امينة. ومما اتسمت به الرحلة تجنبه لذكر أية رواية أو قصة تاريخية يرفضها العقل والمنطق فهي خالية من الخرافات والاساطير متسمة بالواقعية والدقة والصدق وخير مثال على ذلك رفضه قصة فيضان بئر زمزم⁽⁴⁾.

وعند زيارته لبلاد الشام فقد تجلت روحه العلمية في الإشارة إلى العلاقات الطيبة بين المسلمين والمسيحيين في تلك البلاد بالرغم من قيام حرب بين صلاح الدين الايوبي والصليبيين، كما أشاد أثناء مروره بصقلية بمعاملة ملكها الثاني لرعاياه من المسلمين⁽⁵⁾.

وتأسيساً على ما تقدم يمكن القول بان رحلة ابن جبير الجغرافية اتصفت بالروح العلمية وتمتعت بالدقة والصدق والامانة العلمية منها لم تكن عواطف ابن جبير تؤثر في احكامه كما زعم بعض الباحثين.

2. أسلوب الرحلة: إن قراءة دقيقة لرحلة ابن جبير تكشف لنا انه افضل من كتب في الرحلات الجغرافية العربية القديمة من حيث الأسلوب وبالرغم من انه كان يشوب أسلوبه السجع المتكلف أحياناً وهي إحدى سمات الكتابة الأدبية في ذلك العصر لكنه يكشف في الوقت ذاته عن التفاتات رائعة تنم عن موهبة أدبية أصيلة، حيث كان معنياً بلغته عناية فائقة أثناء سرد الرحلات الجغرافية وللمكانة الأدبية المرموقة لرحلة ابن جبير دفعت بالمستشرق الروسي كراتشكوفسكي إلى اعتبارها ذروة ما بلغه غط (الرحلة) في الأدب الجغرافي العربي من الناحية الفنية⁽⁶⁾. ومن الممكن ملاحظة الجوانب الأدبية الرائعة في الرحلة في مواقع كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر تصويره للعاصفة البحرية التي عصفت بمركبهم بين صور وصقلية⁽⁷⁾.

كما تبرز براعته أيضاً في وصفه للمدن الكبرى التي زارها وصفاً حياً ودقيقاً وما يلحظه القارئ ان اهتمامه بالجانب الأدبي قد جاء في بعض الحالات على حساب الجانب الجغرافي فعلى سبيل المثال قال في وصف لبغداد:

"هذه المدينة العتيقة وإن لم تزل حاضرة الخلافة العباسية ومثابة الدعوة الأمامية القرشية الهاشمية قد ذهب أكثر رسمها ولم يبق منها الا شهير اسمها، وهي بالإضافة إلى ما كانت عليه انحاء الحوادث عليها والتفات أعين النواب إليها كالطلل الدارس، والأثر الطامس أو تمثال الخيل الشاخص، فلا حسن فيها يستوقف البصر ويستدعي من المستوخر العقلة والنظر إلا دجلتها التي هي بين شرقيها وغربيها منها كالمرآة المجلوة بين صفحتين أو العقد المنتظم بين لبنتين⁽⁸⁾. إن أسلوب ابن جبير في الكتابه قد أثر على عدد كبير من الرحالة العرب وفي مقدمتهم ابن جزي الكاتب الأندلسي.

ثانياً: أهداف ومضامين الرحلة:

1. اهداف الرحلة: إن قراءة دقيقة لرحلة ابن جبير منذ يومها الأول وحتى اللحظة الأخيرة للرحلة تكشف لنا ان هناك اهدافاً عديدة كان ابن جبير يبغي تحقيقها أثناء ترحاله إلى أقصى الشرق من الدولة العربية الاسلامية.

أ. الدافع الديني: يعتبر هذا الدافع من اقوى دوافع الرحلة فالهدف الأول من رحلته كان الحج إلى بيت الله الحرام ولكن مع ذلك لم يكن هو الدافع الوحيد والدليل على ذلك قيامه بتأليف كتاب يروي مشاهداته في ديار الشرق ووصفه للمدن والقرى وحواضر بلاد العرب.

ب. الدافع الأدبي: حاول ابن جبير ومن خلال ثقافته الواسعة وأهدافه المتعددة ان لا يجعل رحلته كتاباً جغرافياً فقط ككتب الإدريسي والبكري وغيرهم من جغرافي المغرب بل كان يهدف إلى جعله نصاً أدبياً ذي قيمة أدبية من خلال تناوله الجوانب الثقافية والدينية وخاصة أثناء وصفه لمكة والمدينة المنورة ومناسك الحج وشعائره.

جـ. الدافع الجغرافي: أعطى ابن جبير الدافع الجغرافي مكاناً مهماً في رحلته حيث كان يعطي أهمية خاصة لوصف البلدان وأوضاع السكان بجوانبها الاقتصادية والطبيعية لذا يمكن اعتبار ماكتبه ابن جبير أثناء رحلته إلى بلاد المشرق وثائق دينية وثائق أدبية وجغرافية واثروبولوجية ذات قيمة علمية كبيرة.

خطوط الرحلة: تتحد ملامح الرحلة مكانياً بالمخططات التالية:

أ. الرحلة المصرية.

ب. الرحلة الحجازية.

جـ. الرحلة العراقية.

د. الرحلة الشامية.

أ. الرحلة المصرية: رحل ابن جبير إلى مصر كسائر البلدان التي جابها وركز على جوانب متعددة منها الجانب الديني ووصف المعالم الأثرية والحياة الاقتصادية والاجتماعية ففي حديثه عن الاسكندرية بين انها اكثر بلاد الله مساجداً وان بعض المبالغين يقدرون عددها باثني عشر ألف مسجد⁽⁹⁾. ولذلك فقد ذكر (وما منها جامع من الجوامع ولا مسجد من المساجد ولا روضة من الروضات المبنية على القبور ولا محرس من المحارس ولا مدرسة من المدارس الا وفضل السلطان يعم جميع من يأوى إليها ويلزم السكنى فيها، تهون عليه في ذلك نفقات بيوت الأموال)⁽¹⁰⁾.

وللأدب في مكوته هناك أهمية خاصة إذا اهتم بالجانب الثقافي اهتماماً كبيراً من خلال وصف مدينة القاهرة والمشاهد الثقافية فيها وكذلك وصفه لمدينة قنا حيث قال: (وهي من مدن الصعيد؛ بيضاء انيقة المظهر، ذات مبان حفيلة ومن مآثرها الماثورة صون نساء اهلها والتزامهن البيوت فلا تظهر في زقاق من أزقتها امرأة البتة... وهذه المدينة من الشط الشرقي من النيل وبينها وبين قوص نحو البريد)⁽¹¹⁾.

ب. الرحلة الحجازية: تكتسب رحلة ابن جبير للحجاز أهميتها من خلال دقة الوصف وبخاصة للاماكن المقدسة (الكعبة الشريفة والمسجد النبوي) واهتمامه بمظاهر الحياة الاقتصادية وبخاصة وصفه للأسواق التجارية وما يعرض فيها من بضائع ومواد تجارية.

أما ملاحظاته عن الحياة الاجتماعية فيها فقد تركزت على الجوانب المتصلة بالدين كالمناسبات الدينية منها على سبيل المثال لا الحصر الليلة الأولى للعمرة الرجبية وبداية شهر شعبان واحتفالات شهر رمضان وعيد الفطر المبارك.

أما عن الجوانب الثقافية والأدبية فقد تتبع ابن جبير مجالس الوعظ والخطابة التي كانت تعقد في مكة والمدينة وقد سجل صورة دقيقة عنها وعن مستوى خطابها.

ومن الجوانب البارزة لرحلته الحجازية التركيز على وصف مكة المكرمة والمدينة المنورة لأهميتها الدينية ويبدو ان الدافع الديني كان في مقدمة أهداف رحلته إلى الحجاز حيث وصف مكة بقوله: (هي بلدة وضعها الله عز وجل بين جبال محدقة بها، وهي بطن واد مقدس، كبيرة مستطيلة، تسع من الخلائق ما لا يحصيه الا الله عز وجل)⁽¹²⁾.

ج. الرحلة العراقية: تعد الرحلة العراقية من اكثر اجزاء رحلة ابن جبير فائدة من الجوانب الجغرافية والأدبية، ففي الجانب الجغرافي وردت ملاحظات هامة تكشف عن الاوضاع الاقتصادية وبخاصة في الجانب الزراعي وكثرة الجداول والقنوات ففي حديثه عن الطريق بين الحلة وبغداد فقد ذكر (الطريق من الحلة إلى بغداد أحسن طريق واجملها في بسائط من الارض وعمائر تتصل بها القرى يمينا وشمالاً ويشق هذه البسائط اغصان من ماء الفرات تتسرب بها وتسقيها فمحراثها لاحد لاتساعه وانفساحه)⁽¹³⁾.

كذلك سجل احوال العراق الاجتماعية وبخاصة عادات السكان وتقاليدهم ومظاهر حياتهم فقد امتدح اهل الموصل بقوله: "وأهل هذه البلدة على طريقة حسنة يستعملون اعمال البر فلا تلقى منهم الا ذا وجه طلق وكلمة لينة، ولهم كرامة للغرباء واقبال عليهم، وعندهم اعتدال في جميع معاملاتهم"⁽¹⁴⁾.

وأولى ابن جبير النواحي الثقافية اهتماماً كبيراً فقد ذكر المستوى العلمي في بغداد ووضح انه مايزال مرتفعاً وان في بغداد ثلاثين مدرسة اشهرها المدرسة النظامية ولكل مدرسة اوقاف كثيرة يعود ريعها إلى الفقهاء والمدرسين والطلاب، كما أكد على مجالس الوعظ وذكر بشكل خاص على جمال الدين أبا الفضائل بن علي الجوزي إمام عصره في الحديث والوعظ.

ولقد ابرز الجوانب الأدبية للرحلة في وصف المدن العراقية بشكل خاص حيث الأسلوب الأدبي الرفيع واللغة الجميلة في الوصف حيث يقول في وصف مدينة الحلة: "هي مدينة كبيرة عتيقة الوضع مستطيلة لم يبق من سورها الا حلق من جدار تراي مستدير بها... وهي قوية العمارة كثيرة الحلق متصلة حدائق النخيل داخلاً وخارجاً" (15).

وقال يصف مدينة تكريت: "هي مدينة كبيرة واسعة الارحاء فسيحة المساحة حفيلة الاسواق كثيرة المساجد غاصة بالخلق، أهلها أحسن أخلاقاً وقسطاً في الموازين من اهل بغداد" (16).

وقال يصف مدينة الموصل: "هذه المدينة عتيقة ضخمة حصينة فخمة قد طالت صحتها للزمن فأخذت أهبة استعدادها لحوادث الفتن، قد كادت ابراجها تلتقي انتظاماً لقريب مسافة بعضها من بعض وباطن الداخل منها بيوت بعضها على بعض مستديرة بجدار المطيف بالبلد كله كانه قد تمكن فتحها فيه لغلظ بنيته وسعة وضعه وللمقاتلة في هذه البيوت حرز وقاية وهي من المرافق الحربية" (17).

إن تحليل النصوص السابقة يظهر لنا دقة اختيار الالفاظ من قبل ابن جبير والأسلوب الأدبي في وصف تلك المدن وهنا تظهر العلاقة الجدلية بين الأدب والمكان، فأسلوبه الأدبي الرفيع في وصف تلك المواضع الجغرافية وبين الوصف الجغرافي لتلك المواضع.

د. الرحلة الحجازية: رحل ابن جبير إلى بلاد الشام وقدم معلومات غنية على اختلاف انواعها كما ان رحلته ثرية بالصور التي تصور الحياة في هذه الديار ببراعة وبأسلوب أدبي رائع يندر ان نجده في الرحلات الجغرافية للرحالة العرب ولعل أهم ما ركز عليه هو وصفه للحياة الاجتماعية وقد تناولها باسهاب نسبي فقد ذكر عند تناولها سكان دمشق ووصفهم بما يلي: "إذا لقي أحد منهم آخر مسلماً يقول: جاء الملوك أو الخادم برسّم الخدمة، كناية عن السلام... وصفة ملائمتهم إيماء للركوع أو السجود، فترى الأعناق تتلاعب بين رفع وخفض وبسط وفيض، وربما طالت بهم الحالة في ذلك فواحد ينحط وآخر يقوم وعمائمهم قهوي بينهم هويًا" (18).

وأولى ابن جبير كعادته اهتماماً بالجوانب الثقافية المختلفة شملت الآثار والرسوم الدينية والمدارس والمستشفيات فعند حديثه عن حلب اهتم اهتماماً كبيراً بقلعتها المشهورة ووصفها وصفاً دقيقاً كما وصف جامع دمشق وصفاً بلغ من الدقة شأنًا مبدعاً وهنا لا بد من الإشارة بان

حديثه عن الجامع يعتبر شاهداً تاريخياً مهماً وذا قيمة عالية ولعل افضل ما ورد من اوصاف لهذا الجامع في كتب الرحالة الآخرين كما ركز ابن جبير على جانب التعليم في بلاد الشام وبخاصة التعليم الديني وقد ذكر وجود نحو عشرين مدرسة إضافة إلى ان الكثير من المساجد والمشاهد الدينية تتخذ اماكن لتعليم القرآن وكتب الدين هذا فضلاً عن اتخاذ جامع دمشق موضعاً للتدريس حيث ان كل سارية من سواريه لها وقف معلوم يأخذه المستند إليها للذاكرة والتدريس⁽¹⁹⁾. ونظراً لما اتسم بها بلاد الشام وبخاصة دمشق من الناحية العلمية فقد دعى ابن جبير سكان المغرب إلى انتهاز الفرصة والارتحال إلى بلاد الشام لطلب العلم فقد ذكر (فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ويتغرب في طلب العلم فيجد الامور المعينيات كثيرة)⁽²⁰⁾.

أما ملاحظات ابن جبير السياسية فتكتسب أهمية خاصة نظراً لانها تلقي ضوءاً عن العلاقات بين السكان بمختلف مذاهبهم واديانهم وهي علاقات مودة واحترام. ولعل أبرز ما في الرحلة الشامية وصف ابن جبير للمدن السورية فتكتسب أهمية خاصة لرصانتها ودقتها وقد اسهب في وصف مدينتي حلب ودمشق.

وما قاله في وصف حلب: "أما البلاد فموضوعه ضخيم جداً، حفييل التركيب بديع الحسن واسع الاسواق كبيرها متصلة الانتظام مستطيلة تخرج من سمط صنفه إلى سمط صنفه أخرى إلى أن تفرغ من جميع الصناعات المدنية وكلها مسقف بالخشب"⁽²¹⁾.

أما مدينة دمشق فلم يترك فيها شاردة ولا واردة من دون ان يصفها أو يتحدث عنها ياسهاب أو يقول: "لهذه البلدة ثمانية ابواب- باب شرقي وهو شرقي.... يلي هذا الباب باب توما وهو ايضاً في حيز الشرق ثم باب السلامة ثم باب الفراديس وهو شمالي ثم باب الفرج ثم باب النصر وهو غربي ثم باب الجابية كذلك ثم باب الصغير وهو بين الغرب والقبلة والمسجد الجامع مائل إلى الشمالية من البلد والارباض به مطيفة، الا من جهة الشرق مع ما يتصل بها من القبلة سيراً. والارباض كبار والبلد ليس بمفرط الكبر وهو مائل للطول وسككه ضيقة مظلمة وبنائوه طين وقصب طبقات بعضها فوق بعض، ولذلك ما يسرع الحريق اليه، وهو كله ثلاث طبقات فيحتوي من الخلق ماتحوي ثلاث مدن لانه اكثر بلاد الله خلقاً وضعه كله خارج ولا داخل"⁽²²⁾.

وقال يصف ربوقاً: "وهذه الربوة المباركة راس بساتين البلد ومقسم مائه، ينقسم فيها الماء على سبعة أنهار يأخذ كل نهر طريقه، وأكبر هذه الأنهار نهر يعرف بثوار وهو يشق تحت الربوة... ويشرف من هذه الربوة على جميع البساتين الغربية من البلد ولا إشراف كإشرافها حساً ومجالاً واتساع مسرح للأبصار وتحتها تلك الأنهار السبعة للتسرب وتسيح في طرق شتى فتحار الأبصار في حسن اجتماعها وافتراقها واندفاعها وانصبابها" (23).

يتضح لنا من خلال وصف مدينة دمشق طبيعة العلاقة الجدلية بين الأدب والمكان إذ يستخدم ابن جبير مصطلحات أدبية في غاية الدقة في وصف المواضع الجغرافية وفي وصفه يمزج ما بين البراعة الأدبية كأديب وما بين الجغرافي كرحالة. ومن هنا تكتسب رحلة ابن جبير لبلاد الشام ناحية مهمة وعلاقة جدلية بين الصياغة الأدبية من جهة وبين وصف الموضع الجغرافي من جهة أخرى.

كما تبرز عنده دقة الوصف وبراعة الأدب من خلال وصفه لمدينة حمص حيث يقول: "هي فسيحة الساحة مستطيلة المساحة نزهة لعين مبصرها من النظافة والملاحة موضوعة في بسيط من الأرض عريض مداه لا يخترقه النسيم بمسراه يكاد البصر يقف دون منتهاه، افصح أغبر لا ماء ولا ظل ولا ثمر، فهي تشتكي ضماها وتستقي على البعد ماءها" (24).

كما يصف مدينة حماه فيقول: "مدينة شهيرة في البلدان قديمة الصحبة للزمان غير فسيحة الغناء ولا رائقة البناء، أقطارها مضمونة ديارها مركومة لا يهيش البصر إليها عند الأطلال عليها كأنها تكن يمجتها وتخفيها فتمد حسنها كامناً فيها حتى إذا حسبت خلخالها وتقرب ضلالها ابصرت بشر فيها كبيراً تتسع في تدفقه أساليبه وتتناظر بشطيه دواليبه... الخ" (25).

وهكذا يتضح لنا أن الرحلة الشامية هي من أغنى أجزاء الرحلة بمعلوماتها التاريخية والجغرافية وبلغتها الأدبية، كما أن أوصاف المدن فيها هي أفضل ماورد فيها.

ثالثاً: قيمة الرحلة من الناحيتين الأدبية والجغرافية: يمكن القول بأن رحلة ابن جبير احتل "مركزاً مرموقاً في الأدب الجغرافي العربي بل يمكن القول أنها تبوّأت مركز الصدارة ولعل السبب في ذلك يرجع إلى علمه الواسع باللغة والآداب والفقه وقدرته على نظم الشعر" (26).

يضاف إلى أنه كان دقيق الملاحظة صائب النظر مشغولاً بتسجيل ما يرى في أسلوب سهل صادق يبعث على الثقة (27).

ومن الممكن تحديد قيمة الرحلة وفق المحاور التالية:

أ. المحور الجغرافي: يمكن القول بان الرحلة لم تشتمل الا على معلومات قليلة القيمة عند البلدان التي تعرضت لها، حيث لم يهتم بالمعالم الطبوغرافية والمناخية والهيدرولوجية ويبدو ان ابن جبير قد وصف الاماكن والمنطق التي زارها وصفاً أدبياً أكثر منه جغرافياً غير انه ركز ايضاً على الجانب الثقافي والديني على وجه الخصوص تركيزاً عظيماً.

ولعل أبرز جانب جغرافي في الرحلة هو ما يتعلق بتناوله لشؤون السفر ومسالكه ووصفه للمدن في البلدان المعنية وقد أتيج له ان يستعمل كثيراً من مصطلحات الملاحة وبناء السفن في العصور الوسطى.

أما وصفه للمدن فقد تميز بالرصانة والدقة إضافة إلى ذكره بعض المقدمات الأدبية والثقافية والعاطفية.

ب. المحور التاريخي: ان رحلة ابن جبير قدمت لنا معلومات تاريخية مهمة وبخاصة عند الفترة التاريخية التي امضاها في التجوال بين بلاد المشرق والمغرب، ومن ابرز المعالم التاريخية لتلك المدة حركة التحرير العربية الاسلامية بقيادة صلاح الدين الايوبي وانجازاته في مصر وبلاد الشام ومن الجوانب التاريخية الاخرى التي ركز عليها في رحلته علاقة المسلمين بالمسيحين في بلاد الشام، ودراسة وضع المسلمين في جزيرة صقلية أيام حكم النورمان إضافة إلى دراسة الأحوال السياسية في العراق.

ج. المحور الأدبي: تمثل رحلة ابن جبير في الأدب الجغرافي العربي منزلة طيبة فهي قد احتلت مركزاً مرموقاً بل يمكن القول انها قد تبوات مركز الصدارة، فقد اكتسب من خلالها شهرة أدبية واسعة بين الأجيال ومن الممكن ان تحدد المزايا الآتية في أسلوبه الأدبي:

- 1- استخدام ابن جبير أسلوباً جميلاً في وصف الاماكن.
- 2- تنظيمه للشعر أثناء رحلته، حيث كان ينظم القصائد الشعرية ومن اشهرها قصيدة طويلة رفعها إلى صلاح الدين الأيوبي يهتة بالفتح العظيم اثناء رحلته الثانية.
- 3- امتاز ابن جبير بالروح الرومانتكية مما جعل للرحلة ذات قيمة علمية وأدبية.
- 4- أسلوبه الأدبي في الوصف (السجع الأدبي) فعلى سبيل المثال لا الحصر شاهد زفافاً فقال أنها كانت (تمشى فتراً على فترمشي الحمامة أو سير الغمامة) ثم انتبه إلى نفسه واستدرك وقال: "نعوذ بالله من فتنة المناظر" ثم انساق في الوصف مرة أخرى وختم كلامه عن ذلك المشهد قائلاً: "فأدانا الاتفاق إلى رؤية هذا المنظر الزخرفي المستعاذ بالله من الفتنة فيه" (28).

5- ونظراً للقيمة العلمية والأدبية التي تمتعت بها الرحلة فقد تبارى الكثيرون واقتبسوا من نصوصها عدد كبير من الرحالة العرب المسلمين من رحلته منهم ابن بطوطة والمقريزي والمقري والشريشي وغيرهم وهذا يعني تأثر الرحالة العرب والمسلمين بأسلوب ابن جبير الأدبي في وصف المواضع الجغرافية.

6- حققت الرحلة شهرة واسعة في الدوائر العلمية الاوربية اذ تم نشرها لعدة مرات من قبل وليم رايت وسميث ودي غويه واماري كما قام المتشرق الايطالي اسكياياريلي بترجمتها إلى اللغة الايطالية في عام 1906⁽²⁹⁾.

النتائج:

1- تعتبر الرحلات الجغرافية من القنوات المهمة في ثقافة التواصل وثقافة الوحدة والتنوع بين الشعوب.

2- أعطى ابن جبير ومن خلال كتاباته ورحلاته منهجاً واضحاً للتفاعل الحضاري بين شعوب العالم.

3- لرحلة ابن جبير أهداف ومضامين متعددة منها جغرافية وأدبية ودينية وتاريخية.

4- اتسم كتابات ونتائج ابن جبير بجدلية العلاقة بين الأسلوب الأدبي والوصف الجغرافي للمواقع والمدن.

5- من نتائج الرحلة التفاعل بين شعوب العالم الإسلامي إذا سهمت في نشر وتقل العادات والتقاليد بين تلك الشعوب.

6- تأثر الكثيرين من الجغرافيين العرب بأسلوب ابن جبير في الكتابات الجغرافية منهجاً وأسلوباً.

7- إن ترجمة نتائج ابن جبير من اللغة العربية إلى اللغات العالمية كان له الاثر الاكبر في تنشيط حركة التفاعل الحضاري بين شعوب العالم وكجزء من ثقافة التواصل وثقافة الوحدة والتنوع.

8- خدم ابن جبير الحضارة العالمية من خلال ما قدمه من نتائج في حقل الجغرافية وفروعها المختلفة.

الهوامش:

1- أحمد أبو سعد- أدب الرحلات- دار الشرق الجديد- بيروت- 1961، ص 108.

2- نفيس أحمد- جهود المسلمين في الجغرافية- ترجمة فتحي عثمان، دار القلم، ص 79.

3- رحلة ابن جبير - تحقيق الدكتور حسين نصار- مكتبة مصر- القاهرة- 1955- ص 90.

* قصة فيضان بئر زمزم: قصة تروي زيادة مياه بئر زمزم في أول جمعة من شهر شعبان باعتباره شهراً مباركاً فوجد الحكاية مبالغ فيها.

4- رحلة ابن جبير - منشورات دار التراث- بيروت- 1968- ص 105- 106.

5- المصدر نفسه- ص 267.

6- كراتشكوفسكي- تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان- منشورات جامعة الدول العربية- 1961- ج 1 ص 301.

7- رحلة ابن جبير - ص 260- 261.

8- المصدر نفسه- ص 173.

9- المصدر نفسه- ص 16.

10- المصدر نفسه- ص 25.

11- المصدر نفسه- ص 37.

12- المصدر نفسه- ص 77.

13- المصدر نفسه- ص 170.

14- المصدر نفسه- ص 190.

15- المصدر نفسه- ص 168- 169.

16- المصدر نفسه- ص 169.

17- المصدر نفسه- ص 186.

18- رحلة ابن جبير - ص 242.

19- رحلة ابن جبير - ص 220.

20- المصدر نفسه- ص 232.

21- المصدر نفسه- ص 203.

22- المصدر نفسه- ص 229- 230.

23- المصدر نفسه- ص 224.

24- المصدر نفسه- ص 220.

25- المصدر نفسه- ص 206- 207.

26- مؤنس، حسين- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس - ط2- 1986- مكتبة مدبولي - القاهرة- ص 429.

27- المصدر نفسه- ص 429.

28- رحلة ابن جبير - ص 295- 296.

29- كراتشكوفسكي- تاريخ الأدب الجغرافي العربي- مصدر سابق- ص 300.